

البعد الأخلاقي والدعوي في تصوف الشيخ يوسف المكاسري

Aspek Moral dan Dakwah dalam Tasawuf Syekh Yusuf Makassa

Ahmad Shaleh Amin
Universitas Ez-Zitouna, Tunis
Email:ahmadsoleh_77@yahoo.co.id

ملخص

كان للتصوف الإسلامي السني المبني على النصوص الشرعية والسيرة النبوية على مر العصور دور مهم في إعلاء كلمة الحق وإصلاح المجتمعات بدروس ومواعظ تُعالج آفات العصر طامحة في ذلك إلى إحياء عقائدها وأخلاقها لتطبيق الشعار القرآني: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ١١٠ ﴾. ولئن اختلفت مناهج الصوفية المتأخرين على مناهج الأولين السابقين، فإن الهدف الأهم يبقى واحدا وهو تزكية النفس وتحليتها بالأخلاق الفاضلة لبناء مجتمع إسلامي يسير على ضوء الكتاب. وقد وفق الله تعالى العديد من العلماء ليكونوا منارة تضيء درب السالكين، غير أن العديد منهم ومع ما قدموه من جهود فقد تغافل عنهم التاريخ، ربما لأنهم قد اشتغلوا وناصروا الدين في أقطار بعيدة. ولعل الشيخ يوسف المكاسري يعتبر أحد الذين كان لهم الفضل في نشر الإسلام في أمصار لم تطأها العديد من أقدام أمثاله. فحاولنا من خلال هذا البحث أن نحبي ذكرى وفضل هذا الصوفي الذي شهد له عصره بعظيم فضله في الدعوة، والتركيز على الجانب الدعوي والتربوي والأخلاقي في سلوك المسلم، مبرزين خصائله ومبينين أسس التفكير لديه من خلال قراءة مؤلفاته وخاصة رسالته [زبدة الأسرار في تحقيق بعض مشارب الأخيار]. ثم يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية: I. التعريف بهذا المصنف لدى الباحثين وطلاب العلم الناطقين باللغة العربية لاطلاع على جانب من جوانب الفكر الإصلاحية الإسلامي المعاصر. 2. التركيز على الجانب الأخلاقي والدعوي في فكر الشيخ يوسف المكاسري. الكلمات المفتاحية: التصوف السني، إصلاح المجتمعات، الجانب الدعوي، الجانب الأخلاقي.

Abstract

Tasawuf Islam Sunni yang didasarkan pada teks-teks syari'at dan sirah nabawiyah sepanjang sejarah, memiliki peran penting dalam menegakkan kebenaran dan memperbaiki masyarakat melalui ajaran dan nasihat yang mengatasi berbagai penyakit zaman. Pada dasarnya, tasawuf memiliki cita-cita luhur untuk menghidupkan kembali ajaran akidah dan akhlak, dengan menerapkan slogan Al-Qur'an Ali 'Imran (3), Ayat 110. Meskipun terdapat perbedaan dalam metode tasawuf antara para sufi kontemporer dan para pendahulu mereka, namun tujuan utama tetap sama, yaitu membersihkan jiwa dan menghiasinya dengan akhlak mulia agar dapat membangun masyarakat Islam yang berjalan di bawah tuntunan cahaya kitabullah. Allah SWT telah memberikan taufik-Nya kepada banyak ulama untuk menjadi cahaya yang menerangi jalan para pencari jalan menuju Tuhan. Namun, banyak di antara mereka, meskipun telah memberikan banyak kontribusi, sering kali diabaikan oleh sejarah. Mungkin, karena mereka berjuang dan membela agama Allah di daerah-daerah yang jauh. Salah satu tokoh yang patut dicatat oleh sejarah adalah Syaikh Yusuf al-Makasari, ia memiliki peran penting dalam menyebarkan Islam di wilayah-wilayah yang belum pernah dijangkau oleh banyak ulama sepertinya pada zamannya. Melalui penelitian ini, penulis berusaha untuk menghidupkan kembali ingatan kita agar mengingat jasa sufi yang satu ini, yang diakui oleh zamannya atas kontribusi besarnya dalam dakwah. Serta, menekankan aspek dakwah, pendidikan, dan moral dalam perilaku seorang Muslim. Penulis juga fokus pada karakter dakwahnya, dan menjelaskan dasar-dasar pemikirannya melalui pembacaan karya-karyanya, terutama risalahnya yang berjudul [Zubdat al-Asrar fi Tahqiq Ba'd Masharib al-Akhyar]. Selanjutnya, penelitian ini bertujuan untuk mencapai beberapa sasaran berikut: 1. Memperkenalkan karya ini kepada para peneliti dan pelajar yang berbahasa Arab agar mereka dapat mengetahui salah satu aspek dari pemikiran reformis Islam kontemporer. 2. Menekankan aspek moral dan dakwah dalam pemikiran Syaikh Yusuf al-Makasari.

Kata Kunci: *Tasawuf Sunni, Reformasi Sosial, Aspek Dakwah, Aspek Etika*

المقدمة:

تكن أهمية التصوف - خاصة في عصرنا الحالي - بعد ترهل المعاني الروحية للإسلام في عصر سادت فيه المادية والنفعية الضيقة، وسعى كل فرد لتحقيق مصالحه الدنيوية الذاتية ولعل ذلك راجع إلى عدم فهمهم لمقام الإحسان في الدين الحنيف.

وكذلك اهتمامهم بالجانب الشكلي والظاهري للطقوس الدينية وإدخال عدة عادات وتقاليد مما دفع البعض إلى الاعتقاد أن الإسلام جسد بلا روح، أو مظاهر بلا لب، وكان لهذا أكبر الأثر في الانحطاط والضعف الذي لحق بالمسلمين، حتى فقدوا ما كان عليه أسلافهم في صدر الإسلام من اهتمام بالبوطن وتعمير القلوب قبل الظواهر، لأنهم لاحظوا بعين البصيرة أن صفاء أعمال الجوارح يكمن في تصفية القلوب من الشوائب، فلم يصابوا بالوهن والضعف، فتحققوا بمقام الإحسان وهو [أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك] كما جاء في حديث جبريل عليه السلام. فأشرقت عليهم شمس العرفان لتطهير القلوب قبل الأبدان بما تعلموه من النبي عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام لما أخبرهم وهو الصادق المصدوق: [أَلَا إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ] ¹

وعلموا أن الجوارح موطن لنواياهم وسرائرهم التي لا يطلع عليها إلا رب البرية جل جلاله، وأن ظواهرهم طوع بواطنهم. فأصلحوا نواياهم لأن بالنية تصلح أو تفسد الأعمال. فلذلك أصبحت مكارم الأخلاق هي أساس التصوف وروحه، فقد اتجه رجال القوم في تعريفه بالجانب الأخلاقي، بل إن مدار طريقتهم على حسن الخلق، معتمدين في ذلك على قواعد الشريعة الإسلامية، وأسوتهم في هذا رسول الله وأصحابه من بعده.

فلا يمكن التفريق بين التصوف والأخلاق، إذ أن الأخلاق هي موضوع التصوف ومنتهى غايته، كما ذهب إلى ذلك علماء الصوفية في تعريفهم لمعنى التصوف السنّي - الشرعي. فما المقصود بالتصوف؟ فهل هو نسبة إلى لبس الصوف أو نسبة إلى صوفياً بمعنى الحكمة أو أن للمتصوفة منح أخرى في تعريفهم وما هو تعريف التصوف عند الشيخ يوسف المكاسري؟

التعريف بالشيخ يوسف المكاسري

1) حياته الشخصية

¹ أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ص 34، ر 52؛ وصحیح مسلم كتاب المساقاة والمزارعة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، دار

الإحياء التراث العربي - بيروت، د. ط، د. ت، ج 3، ص 1219، ر 1599.

يُقال أن "الألماس يزداد لمعاناً كلما صقلته" ولهذا فإن العلماء الذين يُخلدُهم التاريخ هم من زُمرَة العلماء الذين لما اشتدَّت عليهم المحن تشبَّهوا بالحقِّ وصمدوا في مواجهتها ، وفي أندونيسيا الكثير من العلماء والشيخ الذين خلد التاريخ أسماءهم لما بذلوه من جهود وعطاء في نشر الدين الإسلامي والعلم والدعوة في سبيل الله ، ومن هؤلاء نذكر الشيخ المكاسري .

هو الشيخ يوسف أبو المحاسن ، هداية الله تاج الخلوئية المكاسري الأندونيسي ، صاحب التصانيف والأفكار المستنيرة . وقد نسبة البعض إلى مكاسر² [Makassar] بفتح السين ، وهي بلدته التي ولد فيها ومنحه شيخه الشيخ أبو البركات أيوب بن أحمد بن أيوب الخلوئي القرشي (ت 1071هـ/1661م)³ ، ويبدو لي أن لقب [أبي البركات] لولده إبراهيم بن أيوب الخلوئي (ت 1115هـ/1704م)⁴ . ولقب تاج الخلوئية لما رآه منه من ذكاء وفطنة وتحصل على إجازة الطريقة الخلوئية منه⁵.

² مكاسر [Makassar] عاصمة مقاطعة سولاويسي [Sulawesi] الجنوبية ، وكبرى مدن جزيرة سولاويسي . وعرفت باسم أوجونغ بانداغ 1971 [Ujung Pandang]م و1999م نسبة إلى حصن كان موجودا قبل الاستعمار . وتقع مكاسر على الساحل الجنوبي الغربي للجزيرة ، ويبلغ عدد سكانها 1.612,413 نسمة حسب تعداد سنة 2013م ، وتبلغ مساحتها 175.77 كم². انظر [http://makassarkota.go.id/110] و [https://www.britannica.com/place/Makassar] ؛ [http://makassarkota.go.id/110] و [http://www.britannica.com/place/Makassar-geografiskotamakassar.html] .

³ هو أيوب بن أحمد بن أيوب القرشي الماتريدي الحنفي الخلوئي ، شيخ من كبار المتصوفين . ولد بدمشق سنة 994هـ/1585م . وله عدة رسائل منها : [ذخيرة الفتح ، ورسالة اليقين ، والرسالة الأسماوية في طريق الخلوئية وغيره . توفي بدمشق سنة 1071هـ/1661م . انظر : [الزركلي ، خير الدين : الأعلام ، دار العلم للملايين - بيروت ، ط5 ، 1400هـ/1980م ، ج2 ، ص37] .

⁴ هو إبراهيم بن أيوب بن أحمد بن أيوب الخلوئي الدمشقي ، الأستاذ الصالح العابد ، ولد بدمشق سنة 1039هـ/1630م . وذكر لقب أبي البركات صدر من لسان والده وصية له قائلا : [يا إبراهيم افش لإخوانك السلام وأنت أبو البركات] . توفي بدمشق سنة 1115هـ/1704م . انظر : [المرادي ، أبو الفضل محمد خليل بن علي : سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، دار البشائر الإسلامية ودار ابن حزم - بيروت ، ط3 ، 1408هـ/1988م ، ج1 ، ص5] .

⁵ انظر : [حامد (أبو) ، الشيخ يوسف عالم صوفي ومناضل ، مؤسسة أوبور أندونيسيا ، جاكرتا ، ط1 ، 1994م ، ص93] .

ولد الشيخ يوسف المكاسري بمدينة جوا «Gowa»⁶ التي تقع في جنوب محافظة سلاويسي «Sulawesi»، داخل قصر السلطان في 8 شوال 1036هـ الموافق لـ 03 يوليو 1627م وتوفي سنة 1699م بمدينة كيب تاون [Cape Town]⁷

اسم أمه آمنة وهي بنت أحد أقرباء سلطان جوا قيل أن إسم أبيها [Gallarang Moncongloe] وهو أحد إخوة السلطان إلا أنه رفض أن يكون سلطاناً واختار مسيرة حياته أن يكون مواطناً عادياً لذلك سمي به [Gallarang]⁸ وأبوه [عبد الله] كما ذكر ذلك الشيخ يوسف في رسالته [حاشية في كتاب الأنباء في الإعراب لا إله إلا الله]⁹ مجهول النسل لم يذكر في كتب التاريخ، لكن عرف بأنه رجل صالح وولي من أولياء الله.

واختلف المؤرخون في اسم أبيه ولا أحد منهم يذكره في كتاباته إلا [عبد الملك كريم أمر الله] [ت1401هـ/1981م]¹⁰ وقال: "أن اسم أبيه هو عبد الله".¹¹

وحسب دراسة سلسلة النسب التي احتفظ بها بعض أحفاد الشيخ يوسف في مكاسر [Sudiang dan Takalar]، وذكرت بأن اسم أبيه هو [عبد الله خضر]¹²

⁶ مدينة جوا (Gowa) هي مدينة مجاورة لمكاسر تقع في سلاويسي الجنوبية بأندونيسيا، يبلغ عدد سكانها 652.941 نسمة، وتبلغ مساحتها 1.883,32 كم². جـراجع: [http://gowakab.go.id/profile]

⁷ كيب تاون هي ثالث أكبر مدن جنوب أفريقيا من حيث عدد السكان. كيب تاون هي عاصمة مقاطعة كيب الغربية، والعاصمة التشريعية لجنوب أفريقيا. حسب إحصاء عام 2001م يسكن كيب تاون 2.9 مليون نسمة. مساحتها 2499 كم² تشتهر كيب تاون بالمرفئ الموجود بها، وبالطبيعة الخلابة.

انظر- [http://www.southafrica.info/about/geography/western-cape.htm#.V5aS6iThDDc]

⁸ لقب لعائلة المملكة لمن اختار حياة عادية.

⁹ انظر: [حامد أبو]، الشيخ يوسف عالم صوفي ومناضل، ص86.

¹⁰ هو عبد الملك كريم أمر الله. ولد في مدينة تانجونج رابا [Tanjung Raya] بسومطرة الغربية في 17 فبراير 1908م، عالم وشاعر، وكان رئيساً لمجلس العلماء الأندونيسي (1975 - 1981م)، توفي 24 يوليو 1981م/1401هـ عن عمر ناهز 73 عاماً.

¹¹ حامكا، تاريخ الأمة الإسلامية، مؤسسة بولان بنتانج، جاكرتا، ط2، 1976م، ص294.

¹² انظر: حامد أبو، الشيخ يوسف عالم صوفي ومناضل، ص86.

2) حياته العلمية

نشأ الشيخ يوسف المكاسري داخل قصر المملكة وتربى وتلمذ على يد العديد من الشيوخ، ولعل من أهمهم شيخ مملكة جوا «Gowa». فبدأ مسيرته في طلب العلم في حفظ القرآن ودراسة علومه حيث ختم القرآن سن مبكرة وتعلم اللغة العربية نحوها وبلاغتها وأظهر براعة في علوم الشريعة الإسلامية مثل: الفقه والحديث والعقيدة مع ميله إلى التصوف¹³. وقد بدأ رحلته في طلب العلم من مسقط رأسه جوا «Gowa» ثم انتقل في 22 سبتمبر 1735م إلى بنتان «Banten»¹⁴ ومنها إلى أتشيه «Aceh»¹⁵ هناك التقى بشيخ نور الدين الرينري (ت1039هـ/1630م)¹⁶ وتعلم منه الطريقة القادرية ونال الإجازة فيها ثم ذهب إلى اليمن حيث التقى بالشيخ عبد الله محمد عبد الباقي بالله ونال منه إجازة في الطريقة النقشبندية¹⁷.

وفي زيد اليمن منحه السيد علي إجازة طريقة السادة البعلوية، وانطلق من اليمن إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج وأقام فيها فترة للتعلم ثم انتقل إلى «المدينة المنورة» ليزور قبر رسول الله ح. ويتزود من العلم وينال من الشيخ

¹³ لويس (نبيلة): (من أعلام أندونيسيا: الشيخ يوسف المكاسري (1626-1699)، ستوديا إسلاميكا، - PPIM جامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية - جاكرتا، 1994، مج1، ط3، ص154.

¹⁴ بنتان [Banten] هي إحدى مقاطعات أندونيسيا تقع بجوار الغربية وعاصمتها سيرانج، ويقدر عدد سكانها بـ 12.548.98 نسمة ومساحتها 9160 كم². انظر. [http://www.bphn.go.id/data/documents/provinsibanten-4-2012.pdf] :

¹⁵ أتشيه دار السلام أو آجه [Aceh] هي إحدى الأقاليم الخاصة في أندونيسيا. وتلقب بـ [شرفات مكة لأن المسلمين المالايو [Melayu] بقصدونها للتطهر قبل السفر الحج بمكة، ويقدر عدد سكانها 5.066.831 نسمة ومساحتها 57.956 كم². وتعتبر أتشيه أول منطقة دخل فيها الإسلام في أندونيسيا. انظر: [http://acehprov.go.id/profil/read/2014/01/30/11/geografis-aceh.html] .

¹⁶ هو نور الدين الرينري ولد في رنير (الهند) في العقد الأخير القرن السادس عشر الميلادي، ثم رحل إلى أتشيه (جزيرة سومطرة - أندونيسيا) وعاش فيها، وهو عالم صوفي فقيه. وكان مفتياً في مملكة أتشيه في عهد السلطان إسكندر الثاني، وله مؤلفات نافعة منها: بسآن السلاطين، والصراف المسقيم، وغيره. توفي سنة (ت1039هـ/1630م). ناسوتيون (هارون)، الموسوعة الإسلامية الأندونيسية، الناشر جامبتان، ص890.

¹⁷ هي واحد من أكبر الطوائف الصوفية والتي تنسب إلى محمد بهاء الدين شاه نقشبند (ت791هـ/1389م). وهي حقيقة امتداد الطريقة اليسوية التي تنسب إلى مؤسسها أحمد يسوي (ت562هـ/1167م) وكانت تنتشر مبكراً في بلاد ما وراء النهر، ثم انتشرت النقشبندية في تركيا وكرديستان العراق انتشاراً أكبر. ثم تطورت وظهرت النقشبندية الملامية التي نشرها عبد الله الإلهي (ت896هـ/1491م)، ثم ظهرت النقشبندية الخالدية نسبة إلى خالد البغدادي (ت1242هـ/1827م). انظر: عبد العال، بدعة محمد: النقشبندية نشأتها وتطورها لدى الترك، لدار الثقافة للنشر - القاهرة، ط1431، 1، 2010م، ص11.

برهان الدين الملاه بن الشيخ إبراهيم بن حسين بن شهاب الدين الكردي القرني المدني (ت 1111هـ/1700م)¹⁸ إجازة الطريقة الشطارية¹⁹ وأخيراً واصل السفر إلى «الشام» وتعلّم بها على يد الشيخ أبو البركات أيوب بن أحمد بن أيوب الخلوتي القرشي، وتحصل على إجازة الطريقة الخلوتية منه، ومنحه لقب تاج الخلوتية لما رآه منه من ذكاء وفضنة، كما نال الشيخ يوسف كثيراً من الألقاب وأصبح اسمه الشيخ يوسف أبو المحاسن هداية الله تاج الخلوتية المكاسري. وتعلّم الشيخ يوسف أيضاً من الطرق الأخرى كالدسوقية والشاذلية²⁰ والرفاعية²¹ والإدرسية²² والسهروردية²³ والمولوية²⁴ والمخدومية²⁵.

¹⁸ لعله هو إبراهيم بن حسن الكوراني الشهرزوري الشهراني الشافعي، برهان الدين، أبو الوقت. الصوفي النقشبدي المحقق. ولد سنة 1025هـ/1616م، وله مؤلفات عديدة منها: تكميل التعريف لكتاب في التصريف، وحاشية شرح الأدلسية للقصيري، وشرح العوامل الجرجانية وغيره. توفي بالمدينة سنة 1111هـ/1700م. انظر: المرادي، أبو الفضل محمد خليل بن علي: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ج1، ص5.

¹⁹ هي الطريقة الصوفية تنسب إلى الشيخ عبد الله الشطاري (ت 818هـ/1415م)، في فترات سابقة انتشرت بنطاق واسع في الهند وأندونيسيا، والقطاني (تايلندا الجنوبية)، ونشام [Cham] (كامبوجا). انظر: [صغير، حاج وان محمد صغير بن عبد الله: تطور علم التصوف ورجاله في آسيا شرق الجنوب، الناشر الإخلاص، سورابايا، أندونيسيا، د.ت. ص41].

Shaghir, Hj. Wan Mohd Shaghir Wan Abdullah. t. th. *Perkembangan Ilmu Tasawuf dan Tokoh-tokohnya di Nusantara*. Surabaya, Indonesia: Penerbit al-Ikhlās. P. 41.

²⁰ هي تنسب إلى أبي الحسن الشاذلي (ت 656هـ/1258م)، انتشرت في بلاد المغرب العربي ومصر والشام وآسيا شرق الجنوب. انظر: [التجار، عامر: الطرق الصوفية في مصر، نشأتها ونظمها وروادها، دار المعارف - القاهرة، ط5، د.ت. ص124].
²¹ هي الطريقة الصوفية تنسب إلى الشيخ الشافعي الأشعري، أحمد بن علي الرفاعي (578هـ/1183م). (الملقب بأبي العلمين، وشيخ الطرائق، والشيخ الكبير. وتنتشر هذه الطريقة في العراق وسوريا ومصر وغرب آسيا. انظر: [التجار، عامر: الطرق الصوفية في مصر، نشأتها ونظمها وروادها، دار المعارف - القاهرة، ط5، د.ت. ص63].

²² هي الطريقة الصوفية تعود إلى صاحبها أحمد بن إدريس العرائشي الميلحي العلمي الحسني الفاسي (ت 1253هـ/1837م). (وتنتشر الطريقة الإدرسية من المغرب العربي إلى اليمن والحجاز والشام ومصر وسودان وماليزيا وإندونيسيا. انظر: [الريحاني، أمين: ملوك العرب، دار الجبل - بيروت، ط1407، 8هـ/1987م، ج1، ص293].

²³ هي الطريقة الصوفية تأسست على يد شهاب الدين عمر بن محمد بن عبد الله، أبو حفص، القرشي التيمي البغدادي السهروردي (ت 632هـ/1235م). وهذه الطريقة تنتشر في بغداد - العراق. انظر: [الزرزكي، خير الدين: الأعلام، ج5، ص62].

²⁴ هي الطريقة الصوفية تنسب إلى مؤسسها الشيخ جلال الدين الرومي (ت 1272هـ/1856م). (انتشرت في تركيا والشام (حلب - سوريا). انظر: [الأفغاني، عناية الله إبلاغ: جلال الدين الرومي بين الصوفية وعلماء الكلام، الدار المصرية اللبنانية - 1407هـ/1987م، ص23].

²⁵ هي الطريقة تنسب إلى الأسرة المخدومية المنيية بفنّان أو كركالا (مليبار)، ولعل تأسيسها على يد الشيخ الإمام زين الدين المخدوم الكبير (ت 928هـ/1522م) انتشرت في مليبار الهند وأندونيسيا. انظر [http://nidaulhind.blogspot.in/2016/05/blog-post_30.html]: : [حامكا، من الخزانة القديمة، مؤسسة بوساكا بانجيماس، جاكارتا، 1996م، ص42 - 43].

3] منفاه ووفاته

بعد رحلته العلمية الطويلة، عاد الشيخ يوسف إلى جوا «Gowa» يملأه الأمل في تعليم الناس في بلاده ونشر ما تعلمه من العلم. لكن، خاب أمله بسبب ما وجده من تغير نتيجة الحروب التي نشبت بين السلطان حسن الدين والقائد سييلمان «Speelman» الهولندي التي انتهت إلى إبرام اتفاقية تم بمقتضاها الحد من حرية المملكة وتدخل الهولنديون في شؤونها الداخلية ما أدى إلى إضعافها وانتشار الأعمال المنافية لمبادئ الدين الإسلامي مثل الميسر وشرب الخمر ومصارعة الدجاج وعبادة الأصنام. لذلك نادى الشيخ يوسف في أصحابه وتلاميذه وطلب منهم مساعدته وأعطاهم البيعة لمواصلة المقاومة والدفاع عن مبادئ الإسلام في بلاده ومحاربة الفساد غير أن صوته لم يجد صدى في قلوب الناس ما جعله يشعر بأن لا مكان له ب«جوا» مادام الفساد قد عم بها. فتركها للمرة الثانية واتجه إلى «بنان» في سنة 1672²⁶. ولكن قدوم الأوروبيين إلى بنان «Banten» أدى إلى تعميق معاناة الشعب البناني لما كان من السلطات الاستعمارية من ظلم واستبداد حيث جردت الكثير من البنانيين من امتيازاتهم الاجتماعية والاقتصادية التي كانوا يتمتعون بها قبل قدومهم.

ولم تقبل «بنان» بقدوم الهولنديين إلى بلادها حيث لقوا مقاومة شديدة وعداء من قبل الشعب خاصة في زمان السلطان أغنجج ترناياسا [Ageng Tirtayasa] (ت1094هـ/1683م)²⁷ الذي لم يعطهم الامتيازات التي جاؤوا من أجلها، ولكن في عام 1676م عاد ولي العهد من الحج والذي كان يلقب ب«سلطان حاج» غير علاقته مع الهولنديين وأصبح يتشبه بهم في كل الأمور وهذا مالم يكن يتمناه سلطان ترناياسا [Tirtayasa]

Hamka, *Dari Perbendaharaan Lama*, Yayasan Pustaka Panjimas, Jakarta 1996, P. 42-

²⁶ لويس، نبيلة: ستوديا إسلاميكا، ص 157 - 158.

²⁷ أحد أبطال أندونيسيين ضد استعمار الهولنديين (Verenigde Oost Indische) VOC سنة 1651 - 1683م في سلطنة بنان

[Banten]. وكان الشيخ يوسف المكاسري مستشاره الخاص.

Sultan Agung Tirtayasa, (Proyek Inventarisasi Dokumentasi): (Sasmita (Oka Candra

من ابنه وليّ العهد السلطان الحاج الذي منح بعض الامتيازات للهولنديين وأتاح لهم الفرصة للتدخل في شؤون البلد وذلك بصرف النظر عن رغبات أبيه في الحكومة²⁸.

وكان الشيخ يوسف يواصل كفاحه برفع شأن الإسلام والمسلمين في المملكة ومحاولة حمايتها من التدخل الأجنبي وكان يحرضُ الشعب على طرد الهولنديين من المملكة حتى تم القبض عليه وفيه إلى جزيرة «سيلان» في 12 ديسمبر 1684م وهو في السابعة والخمسين من عمره.

وانتشرت الأنباء عن نفي الشيخ يوسف إلى «سيلان» وعلم السلطان عبد الجليل سلطان جوا [Gowa] فطلب من الهولنديين العفو وإعادته إلى بلاده غير أن جهوده قد باءت بالفشل وأمضى الشيخ يوسف حوالي 9 سنوات من 1684 - 1694م في «سيلان» واستغل الشيخ هذه الفترة للاختلاء بنفسه حيث تمكن من تأليف العديد من الكتب والرسائل الدينية²⁹.

وبعد السنة التاسعة تم نقله من قبل السلطات الهولندية إلى مدينة «رأس الرجاء الصالح» أو مدينة كيب تاون [Cape Town] بجنوب أفريقيا³⁰ وخلال هذه الفترة التي قضاها الشيخ في هذه المنطقة أصبح محور اهتمام المسلمين وأهلهم هناك، الذين ازداد عددهم من مختلف الجنسيات حيث تدعمت مكانتهم لمرو الزمن فتمتع الشيخ يوسف ببقية حياته بتقدير جميع الناس وحبهم وكان أكثر المسلمين هناك من العرب والهنود والملايويين وقليل من السكان الأصليين. وهناك توفي الشيخ يوسف وهو في الثالثة والسبعين من عمره بحي زند فليت [Zend Velit] بمدينة «رأس الرجاء الصالح» وأقيم له مقاما يليق بمكانته من جانب أتباعه وأصبح مقام الشيخ يوسف قبلة لزوار المسلمين.³¹ وأخبرت الحكومة الهولندية مملكة «بتان» ومملكة «جوا» بمكاسر بوفاته وتقدم كل منهما للحكومة

²⁸ انظر: [لويس، (نبيلة)، الكشف عن زبدة الأسرار، مؤسسة ميزان - بندونغ، ط1، 1996م، ص26].

Lubis (Nabilah): *Menyngkap Intisari Segala Rahasia, Mizan, Bandung, Cet. 1, 1996,*

P. 26.

²⁹ المرجع السابق، ص28.

³⁰ جنوب أفريقيا، رسمياً جمهورية جنوب أفريقيا، هي بلد يقع على الحافة الجنوبية لأفريقيا. شريطها الساحلي الذي يمتد 2.798 كم على جنوب المحيط الأطلسي والهندي. وعدد المسلمين يزيد على المليونين تقريبا، وهناك إحدى عشرة لغة رسمية رئيسية، تأتي اللغة الإنجليزية في المرتبة الأولى. يراجع:

[<http://www.marefa.org/index.php>].

³¹ لويس (نبيلة)، ستوديا إسلاميكا، ص. 162.

الهولندية أن تسمح لهم بإعادة جسده إلى وطنه لكن الحكومة لم تهتم بهذا الطلب في بادئ الأمر لكن بعد الإلحاح عليه وافقت على طلب السلطان عبد الجليل فتم نقل جسده بعد مرور 5 سنوات على وفاته في 5 أبريل 1795م، ووصل النعش إلى «جوا» ودفن ثانية في المقام الموجود الآن بقريّة لأكيونغ «Lakiyung».³² واشتهر مقامه عند سكّان «جنوب سلاويسي» باسم كوبانغ «Kubang»³³ بمعنى القبة، وبقي مكان قبره بجنوب إفريقيا، بـ«كيب تاون» قرية «مكاسار» معلماً مهماً للمجتمع الملاوي المحلي وله مقام مشهور بها.

(4) آثاره الإصلاحية

كانت جنوب أفريقيا قبل قدوم الشيخ يوسف المكاسري تعيش في الظلمات والفساد وانعدام الاستقرار، وقد زادت السلطات الاستعمارية من تعميق الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ولم يكن للإسلام وجود فعلي، لذلك يعتبر دخول المكاسري نقطة تحول ساهمت في إصلاح العديد من المجالات وهذا يعود إلى المنحى الإصلاحي الذي انتهجه المكاسري إذ يعتبر السلطة الروحية داخل المجتمع لما له من محبة في قلوب الناس استمدها من أخلاقه ومبادئه ومحبه للناس وحرصه على إخراجهم من الظلمات وإرشادهم إلى طريق الحق والنور الذي يحقق لهم الاطمئنان والسعادة في الدنيا والفوز بالآخرة، وكانت هذه البادرة لها نتائج إيجابية في نشر السلام والمبادئ السمحة بين الناس.³⁴

وقد اقتدى المكاسري في منهجه الإصلاحي بمنهج رسول الله ح عند دخوله المدينة فكان أول ما قام به ح بناء أول مسجد في الإسلام ليكون المدرسة الأولى للمسلمين، ومنها قام رسول الله ح بتربية أصحابه ومواصلة نشر دعوته. لذلك قام المكاسري بتشييد أول مسجد بجنوب أفريقيا وأطلق عليه [مسجد ماليه] بكيب تاون،

³² انظر: [الشيخ يوسف المكاسري تاريخه وتعاليمه، الجامعة الأندونيسية بريس، جاكرتا، 1994م، ص 9 - 10].

Tudjimah: Syekh Yusuf Makassar, Riwayat dan ajarannya, UI Press, Jakarta 1994, P. 9-

10.

³³ انظر: [حامد (أبو)، الشيخ يوسف عالم صوفي ومناضل، ص 123].

³⁴ انظر: [مصطفى (مستاري): الدين والفضائل الأخلاقية للشيخ يوسف المكاسري، ب.ت. لكيس برتسيج شمرلونغ، يوغياكارتا، ط1، 2011م، ص 98].

Mustafa (Mustari): Agama dan Bayang-bayang Etis Syaikh Yusuf Al-Makassari, PT.

Lkis Printing Cemerlang, Yogyakarta, Cet. 1, 2011, P. 98.

وكان هو إمامه يوم مئات المسلمين لأداء الصلوات، وتعلو مدخله خمس أشجار نخيل ترمز للصلوات الخمس، وتقام فيه مساء كل يوم خميس حلقة ذكر يتناول خلالها أهالي الحي الحديث حول أمور دينهم، وتم تجديد المسجد وترميمه بالكامل باستثناء جدار صغير بقي للدلالة على قدمه.

وكما خطّ المكاسري أول مصحف في جنوب أفريقيا وهو موجود إلى الآن في خزانة زجاجية مغلقة بمسجد ماليه، ومفتوح على [سورة طه] التي تحضُّ على نشر العدل والمساواة بين شعوب الأرض ورفع الظلم عن المظلومين.³⁵ وينتشر المسلمون الآن في كل أنحاء جنوب أفريقيا تقريباً إلا أنهم يتركزون بشكل أساسي في منطقة كيب تاون (العاصمة التشريعية والسياحية للبلاد)، ويغلب على المسلمين في هذا المكان المذهب الشافعي لكون أصولهم أندونيسية وماليزية. ولعل أهم ما ميز المسلمون في جنوب أفريقيا هو اندماجهم الواضح في المجتمع ومقاومتهم لنظام الفصل العنصري جنباً إلى جنب مع الأفارقة سكان البلاد الأصليين، ويبلغ عدد المسلمين في جنوب أفريقيا اليوم حسب المؤيعة حوالي 2% من عدد السكان.³⁶

(5) آثاره العلمية

للشيخ رحمه الله مؤلفات جمّة ولعلنا هنا نذكر ما طألتها يدنا في البحث وهي البركة السيّانية، بداية المبتدئ، دفع البلاء، فتح كيفية الذكر، الفوائح اليوسفيّة في بيان تحقيق الصوفيّة، حبل الوريد، حاشية في كتاب في إعراب لا إله إلا الله، هذه فوائد لازمة الأبناء ذكر لا إله إلا الله، كيفية النفي والإثبات بالحديث القدسي، مطالب السالكين، مقدّمة الفوائد التي مالا بدّ من العقائد، التفحات السيّانية، قرّة العين، رسالة غاية الاختصار ونهاية الانتظار، سفينة النّجاة، سرّ الأسرار، تنزيل العناية والهداية، تاج الأسرار في تحقيق مشارب العارفين، تحفة الأبرار، تحفة الطالب المبتدئ، الوصايا المنجّيات عن مضرّات الحجاب، وزيادة الأسرار في تحقيق بعض مشارب الأخيار.³⁷

³⁵ مجلة التواصل الصادرة من دار المصطفى بترميم في عددها الرابع في شهر جماد الأول 1433هـ / أبريل 2012م.

³⁶ انظر: هارون، محمد؛ مسلمون في جنوب أفريقيا، كيب تاون، مكتبة وطنية جنوب أفريقيا، 1997م.

Haroon, Mohamed; Muslim in South Africa, Cape Town, The South African National Library, 1997.

³⁷ انظر: [حامد (أبو)، الشيخ يوسف عالم صوفي ومناضل، ص145 - 146]؛ و [لويس، (نبيلة)، الكشف عن زبدة الأسرار، ص29 - 30].

وخلاصة قولنا أن الشيخ كان من عائلة كريمة ولقي تكويناً دينياً منذ نعومة أظفاره وتلقى العلوم من شيوخ أجلاء ومن جميع أصقاع العالم وكانت رحلته العلمية مهمة لمسيرته. فشب على مختلف الطرق ونهل من عدة مشارب صوفية ولم يكف بطريقة واحدة بل كانت له إجازات عدة في هذا المجال ورغم فيه إلى سيلان ثم إلى جنوب إفريقيا فهو لم يقطع مع الدعوة لدين الله بل سعى أيضاً لكتابة الرسائل والكتب بغية تخليد أثره للأجيال اللاحق.

معنى التصوف لغةً واصطلاحاً

لغة:

إن الباحثين قديماً وحديثاً لا يزالون في حيرة كبرى من أمر تعريف التصوف وتحديد ماهيته، ولاسيما بعد أن تبين أن التصوف منهج أخلاقي - روحي في الحياة وفلسفة في المعرفة تستند إلى الوجدان والذوق فهي تعلق على معرفة الحواس والعقل، لكن حسب عبارة معروف الكرخي (ت203هـ/818م)³⁸: [التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلاق]³⁹، ومن ثم قيل أن اشتقاق تسمية التصوف من صوفيا [Sophia] بمعنى الحكمة.⁴⁰

وفي اللغة الأكاديمية (لغة عرب العراق الأقدمين، ولندرك أن الذين اهتموا بهذه اللغة وترجموها هم من الفرنجة) نجد كلمة Safu [صافو] وترجمت بأنها تعني: [يدعو، يصلي]. وكلمة Sufu [صوفو] ومعناها كما ذكروا [دعاء، صلاة]. وتأتي عبارة في الأكاديمية تقول: [Semat tilisti u supia] وعريبتها: سمة (أي علامة) تصلية (صلاة) و(صفا). وتصل كلمة Supia وtilisti (صلاة) كثيراً مما يشير إلى أن كلمة

³⁸ هو أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي. ويقال: معروف بن فيروزان. أحد أعلام التصوف السني في القرن الثاني الهجري في بغداد. ولا تعرف سنة مولده. ومن كلامه: [الدنيا أربعة أشياء: المال، والكلام، والنام، والطعام. فالمال يطغي، والكلام يلهي، والنام ينسى، والطعام يقسي]. [توفي بمقبرة بغداد سنة 200هـ/815م. انظر: ابن الملقن: طبقات الأولياء، تحقيق نور الدين شريه، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط4، 1415هـ/1994م، ص280؛ و[أبو عبد الرحمن، محمد بن الحسين السلمي: طبقات الصوفية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط2، 1424هـ/2003م، ص80؛ و[أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصفهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مكتبة الخانجي - القاهرة، د.ط، 1416هـ/1996م.]

³⁹ أي التمسك بها والعمل على مقصاها، انظر: التشيري، أبو القاسم: الرسالة التشيرية، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، دار الشعب - القاهرة، د.ط، 1409هـ/1989م، ص466.

⁴⁰ اليوسف، يوسف سامي: مقدمة للتفري، دار البنايع - دمشق، د.ط، 1418هـ/1997م، ص15.

(صافو) أو (صوفو) لا تعني الدعاء فحسب، بل تعني: التبتل، الحشوع، النسك، الطهر... الصفاء. وهذه سمة الفيلسوف الحكيم. وهذا ما يثبت أن أصل Sophia في اليونانية جاء من الأكادية Supia أو Sufia كذلك الدالة على الزاهد العابد المهتمّ بأمر الغيب (أو ما وراء الطبيعة) باختصار: الحكيم، الفيلسوف. فكل هذا نجده في العربية في الجذر [صفا]: صفا، يصفو، صفوا وصفاء.⁴¹

وورد في [الصّاح] أن الصوف للشاة، ويقال كبش صاف، أي كثير الصوف. وتقول منه: "صاف الكبش بعد ما زمر يصفو صوفاً وصوفاً، فهو صافٌ وصاف، وأصوفٌ وصائفٌ". وكذلك صوف الكبش بالكسر، فهو كبشٌ صوفٌ بين الصوف.⁴² وصاف السهم عن الهدف مال وعدل، والمضارع منه يصفو ويصيف، ويرى صاحب المصباح المنير أن كلمة صوفية هي كلمة مولدة.⁴³

اصطلاحاً:

إذا أردنا أن نعرف التصوف في الإصطلاح فلا بد من الرجوع إلى أقوال الصوفية في ماهية التصوف وكذلك أقوال أصحاب الطرق. ومنذ نشأة الصوفية إلى يومنا هذا كثرت أقوالهم في حقيقة التصوف إلى ما يزيد على ألفي قول حسب أحمد زروق الفاسي (ت 899هـ/1494م)⁴⁴، وكل قول من هذه الأقوال يشير إلى أهم جانب في التصوف عند قائله سواء بالنظر إلى الطريقة أو الخلق أو الغاية، أو بالنظر إلى حاجة الصوفي أو من حوله وكذلك بالنظر إلى حاله أو مقامه، فنجد مثلاً:

⁴¹ خشيم، على فهي: رحلة الكلمات الرحلة الأولى، مركز الحضارة العربية - القاهرة، ط2، 1422هـ/2001م، ص97.

⁴² الجوهري، إسماعيل بن حماد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط4،

1410هـ/1990م، ج4، ص1388.

⁴³ الفيومي، أحمد بن محمد بن علي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، مكتبة لبنان - بيروت، د. ر، 1407هـ/1987م، ص134.

⁴⁴ هو أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرلسي الفاسي المالكي الشهير بزروق، شهاب الدين أبو الفضل. الفقيه المالكي، الصوفي والمحدث. ولد بفاس في 28 محرم سنة 846هـ. وله مؤلفات كثيرة، منها: تأسيس القواعد والأصول وتحصيل الفوائد لذوي الوصول، وشرح الرسالة لأبي زيد القيرواني، وستة وثلاثون شرحاً على الحكم العطائية وغيره. وتوفي سنة 899هـ. انظر: [خشيم، على فهي: أحمد زروق وزروقية، دار المدار الإسلامي - بيروت، ط3، 1423هـ/2002م]؛

و[كحالة، عمر رضا: معجم المؤلفين، ج1، ص98].

- يقول أحمد زروق رحمه الله: أن التصوف علم قصد لإصلاح القلوب، وإفراد الله تعالى عما سواه. والفقهاء لإصلاح العمل، وحفظ النظام، وظهور الحكمة بالأحكام. والأصول [علم التوحيد] لتحقيق المقدمات بالبراهين، وتحلية الإيمان بالإيقان، كالطلب لحفظ الأبدان وكانحو لإصلاح اللسان.⁴⁵
 - وقال ابن عجيبة (ت1224هـ/1809م)⁴⁶: التصوف هو علم يعرف به كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك، وتصفية البواطن من الرذائل، وتحليتها بأنواع الفضائل، وأوله علم، ووسطه عمل، وآخره موهبة.⁴⁷
- وهذه أمثلة لبعض التعريفات التي أوردها العلماء في كتبهم حول التصوف، وليس هناك تعريف محدد متفق عليه بين جميع أهل التصوف لأن هذا العلم محوره الإنسان من جوانبه النفسية والروحية والعقلية والشعورية وغير ذلك، مما يجعل الصوفي لهذا العلم ينظر إليه متأثراً بشعوره واحساساته ومقامه وحاله وسلوكه، لذا كثرت وتوعدت تعريفات التصوف حسب علم وتجربة كل صوفي. ولكن يظل هناك أساس واحد مشترك للتصوف لا خلاف عليه، وهو أنه أخلاقيات مستمدة من الإسلام⁴⁸، واجتمعت كلمة الناطقين في هذا العلم على أن التصوف هو الخلق، لذا عرفه الشيخ المكاسري بأنه: "حسن الخلق فمن ليس له الخلق لا تصوف له."⁴⁹

⁴⁵ الفاسي، أحمد زروق: قواعد التصوف قاعدة 13، دار الكتب العلمية - بيروت، ط2، 1426هـ/2005م، ص26.

⁴⁶ هو أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن الحسين بن محمد بن عجيبة الإدريسي الحسيني الشريف، المفسر، الصوفي، السنّي في القرن الثاني عشر الهجري في المغرب. ولد في مدينة تطوان المغربية سنة 1160هـ/1747م، وله مؤلفات فيسفة منها: إبعاد الغم عن إيقاظ الهمم في شرح الحكم، الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية، ومعارض التشوف إلى حقائق التصوف وغيره. توفي في 7 شوال سنة 1224هـ/1809م. انظر: [الزركلي: الأعلام، ج1، ص245].

⁴⁷ ابن عجيبة، عبد الله أحمد: معارج التشوف إلى حقائق التصوف، تحقيق عبد المجيد الخياي، مركز التراث الثقافي المغربي - دار البيضاء، د.ط، 1224هـ/1809م، ص26.

⁴⁸ القنّازاني، أبو الوفاء: مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة للنشر والتوزيع - القاهرة، ط3، د.ت، ص11.

⁴⁹ انظر: [لوييس، (نبيلة)، الكشف عن زبدة الأسرار، ص29].

وعبر عنه الكفائي بقوله: "التصوّف خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الصفاء".⁵⁰ وقد سئل الشيخ محمد بن علي القصاب رحمه الله وهو من أساتذة الشيخ جنيد رحمه الله عن التصوّف فقال: "أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام".⁵¹

التصوّف إذن في أساسه خلق، وهو بهذا الاعتبار روح الإسلام لأن أحكام الإسلام كلّها مردودة إلى أساس أخلاقي، وقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تحثُّ على مكارم الأخلاق، كالصبر والتوكل والرضا والمحبة واليقين والورع وما إليها مما يندب إليه كل مسلم ليكمل إيمانه.

إن من أهم ما ينبغي أن يفهم عليه الدين هو أنه في جوهره الأخلاق، ولعل مدح الله تعالى رسوله بأفضل مدح هو أكبر دليل على أن الدين كلّه يرتكز ويتمحور حول الخلق الحسن التي تُثمر العمل الحسن، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.⁵²

أنواع الأخلاق

لقد أشار الشيخ المكاسري في رسالته إلى عددٍ لا بأس به من مكارم الأخلاق التي يجب على الإنسان أن يتخلّق بها، حيث قسمها إلى نوعين حسب الصلّة المقامة بين الإنسان مع أخيه الإنسان، وبين الإنسان وربّه.

1. الأخلاق مع البشر

رأى الشيخ يوسف المكاسري ضرورة معاملة البشر جمعاء بمعاملة حسنة، دون النظر لدينه، أو لونه، أو جنسيته، أو جنسه، أو عرقه أو قبيلته. فمن واجب البشر - حسب نظرية الشيخ المكاسري - التأدّب بأدب حسن والتخلّق بأخلاق كريمة مع جميع الخلائق. واعتبر الشيخ أن حسن الظنّ بالناس من أهم الأخلاق رغم اختلافاتنا معهم ولا يجوز الحكم عليهم بالظواهر حتى وإن وقعوا في المعصية لأنّ الله هو أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين، فقال: "ويجب عليه أيضا أن يحسن الظنّ بالناس أجمعين وإن وقعوا في المخالفات دائما فضلا عن غيرهم فإن رحمة

⁵⁰ الفقازاني، أبو الوفاء: مدخل إلى التصوف الإسلامي، ص11.

⁵¹ الفششبدني، ذو الفقار أحمد: التصوف والسلوك، المكتبة العصرية - بيروت، ط1، 2011م/1432هـ، ص15.

⁵² سورة القلم: ٤

الله أوسع من ذلك" ⁵³ ، وقال أيضا : " ولا شك أن الذنوب كلها من جملة الأشياء وسعتها رحمته بنص القول الإلهي : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ⁵⁴ ، وقال أيضا : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ ⁵⁵ . وغير ذلك من الآيات المباركة ، فالناس لا يدرون بأن هذا العبد العاصي مثلا المخالف في الأمور كلها يتوب ويرجع إلى ربه بعد عصيانه ⁵⁶ ، وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ ⁵⁷ .

فلا يخفي على الفطن المتأمل بأن لفظ التوَاب هو صفة المبالغة ، فلذلك أن العبد المكثّر للتوبة منه يكون من كثرة الذنوب المتوالية المترددة عليه ، فتكثير التوبة من العبد من كثرة الذنوب التي ارتكبها . فلأجل هذه الأسباب رأى المكاسري ضرورة حسن الظن بالناس أجمعين ولا يحكم عليهم بالظواهر حتى وإن كان كافرا لعل الله يهديهم ويجعلهم من صفوة عباده .

وكان موقف المكاسري ونظريته في حسن الظن بالناس وبالمسلمين خاصة يتوافق مع الآية القرآنية ، إذ قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ ⁵⁸ .

وكذلك لا بد من تحسين الخلق مع الخلاق كلهم وعدم الاعتراض معهم لأنه قد سئل عن أي الناس أقرب إليك يوم القيامة يا رسول الله فأجاب عنه [إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق] ⁵⁹ . ومن جملة حسن الخلق إكرام

⁵³ انظر : [لوبيس، (نبيلة)، الكشف عن زبدة الأسرار، ص 80.]

⁵⁴ سورة الزمر : 53 .

⁵⁵ سورة النساء : 48 .

⁵⁶ انظر : [لوبيس، (نبيلة)، الكشف عن زبدة الأسرار، ص 82.]

⁵⁷ سورة البقرة : 222 .

⁵⁸ سورة الحجرات : 12 .

⁵⁹ أخرجه أحمد في المسند ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد ، مؤسسة الرسالة ، ط 1 ، 1417هـ/1997م ، ج 14 ، ر 8952 ؛ وأخرجه البخاري في

الأدب المفرد ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار البشائر الإسلامية - بيروت ، ط 2 ، 1409هـ/1989م ، باب حسن الخلق ، ص 104 ، ر 273 .

الضيوف، وقد استند الشيخ بأحاديث رسول الله منها: [من آمن بالله ورسوله فليكرم جاره]⁶⁰. وكذلك إدخال السرور على عباد الله تعالى استناداً إلى قول علي رضي الله عنه: "أفضل الأعمال إدخال السرور في قلوب الإخوان".⁶¹

وخلاصة قولنا من هذه الجوانب الأخلاقية أهمية التحلي بالأخلاق الحسنة وترجمتها إلى أعمال ظاهرة لتكون الجوارح مصدقة لنوايا القلوب، ولعل هذه الأعمال هي في نهاية المطاف طريقنا إلى الله سبحانه وتعالى، لهذا فقد دعا الشيخ المكاسري إلى التخلق بأخلاق الله.⁶² فكيف يمكن للإنسان أن يتخلق بهذه الأخلاق السامية؟

2. الأخلاق مع الله

ومما لا تقل أهميته في جوانب أخلاقية لتصوّف الشيخ المكاسري أن يتأدّب الإنسان مع ربه، فإذا كان الإنسان قد أمر بأن يتأدّب مع بني جنسه فما باله بأن يتأدّب مع ربه وخالقه، وهذه الأخلاق تتمثل في إخلاص النية في القول والعمل لله تعالى وهو أساس كل شيء، لذا عرف المكاسري التصوّف في موضع آخر بأن "التصوّف تجريد القصد لله تعالى وآخره هو التخلق بأخلاق الله تعالى"⁶³، ثم الرضى بالقضاء والقدر، لأن الرضى بالقضاء واجب لا بالمقتضى به وهو المعصية".⁶⁴

ولقد كان الشيخ المكاسري يربط الأخلاق مع الله بشيئين أساسيين، وهما:

أولاً: المعية مع الله

وعني بهذه المعية أن تستحضر مراقبة الله معك أينما كنت وتستحضر عظمتة سبحانه في نفسك حتى تخجل منه كلما هممت بارتكاب خطأ أو معصية، وذلك كما أكد المكاسري في رسالته: "... أن يعلم ويعرف العبد دائماً في جميع أحواله وأوقاته وتقلبات أموره كلّها أن يعلم بأن الله معه حيث كان بموجب قول سيد الخلق

⁶⁰ أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، ص1242، ر6475؛ وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، ص،

.47

⁶¹ انظر: [لويس، نبيلة]، الكشف عن زبدة الأسرار، ص99].

⁶² المرجع السابق.

⁶³ انظر: [لويس، نبيلة]، الكشف عن زبدة الأسرار، ص90].

⁶⁴ المرجع السابق.

أجمعين: [أفضل إيمان العبد أن يعلم بأن الله معه حيث كان]⁶⁵ ، وبموجب قول سبحانه: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾⁶⁶.

ثانياً: الإحاطة

أما الأمر الثاني الذي يبني عليه الشيخ المكاسري مسألة «الأخلاق مع الله» هي استشعار الإحاطة حيث يقول: "... يجب عليه أيضاً - أي العبد - أن يعلم ويعرف بأن الله سبحانه وتعالى محيط بالكل من الأشياء بموجب قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴾⁶⁷ ، "وأنت يا أخي لاشك أنك من جملة الأشياء فافهم وتأمل".⁶⁸

فمن هنا يمكننا أن نفهم أن أساس الأخلاق مع الله هو التآدب معه والتواضع في حضرته، بحيث يراقب العبد جميع أحواله مستشعراً حضور الله معه في كل آن وإحاطته به في كل مكان فلا يصدر منه إلا طيباً وصالحاً يرضاه الله عز وجل. فمسألنا المعية والإحاطة هما مسألتان مهمتان للعبد في سلوكه فما إن يفهما حتى يسلك المسلك القويم والمنهج السليم وهذا ما أدركه الشيخ ونوه إليه في رسالته وبعض رسائله الأخرى.

وصفوة القول أن الأخلاق في الإسلام عبارة عن جملة من المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني، والتي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على الوجه الأكمل والأتم، ويتميز هذا النظام الإسلامي في الأخلاق بطابعين:

الأول: أنه ذو طابع إلهي، بمعنى أنه مراد الله سبحانه وتعالى.

الثاني: أنه ذو طابع إنساني، أي للإنسان مجهود ودخل في تحديد هذا النظام من الناحية العملية.

⁶⁵ الطبراني في مسند الشاميين، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1، 1405هـ/1984م، باب عروة عن عبد الرحمن بن

غم الأشعري، ج1، ص305.

⁶⁶ سورة الحديد: 4.

⁶⁷ النساء: 126.

⁶⁸ انظر: [لويس، (نبيلة)، الكشف عن زبدة الأسرار، ص76].

وهذا النظام هو نظام العمل من أجل الحياة الخيرية، وهو طراز السلوك وطريقة التعامل مع النفس والله والمجتمع، وهو نظام يتكامل فيه الجانب النظري مع الجانب العملي منه، وهو ليس جزءاً من النظام الإسلامي العام فقط، بل هو جوهر الإسلام ولبه وروحه السارية في جميع نواحيه: إذ النظام الإسلامي "على وجه العموم" مبني على مبادئه الخلقية في الأساس، بل إن الأخلاق هي جوهر الرسائل السماوية على الإطلاق.

فالرسول يقول: [إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق]⁶⁹، فالغرض من بعثته هو إتمام مكارم الأخلاق، والعمل على تقويمها، وإشاعة مكارمها، بل الهدف من كل الرسائل هدف أخلاقي، والدين نفسه هو حسن الخلق. وهذا بدى واضحاً وجلياً في الرقائق والزهديات وكتب التصوف ورسائله حتى غدى التصوف علم الأخلاق بامتياز.

منهجه في الدعوة

لقد نال المجال الدعوي نصيباً وافراً من اهتمام الداعية الشيخ يوسف المكاسري، فعاش للدعوة وضحى من أجلها مما أدى إلى نفيه إلى «سيلان» ثم إلى «جنوب أفريقيا» بعيداً عن وطنه وأقربائه، وظلت الدعوة شغله الشاغل وهمه الكبير، حتى قال عنه توفيق إسماعيل⁷⁰ (Taufiq Ismail):

“Saya melangkah masuk dan tertegun melihat makam berpagar besi-ukir, bertutup kain hijau. Disini berkubur pada usia 73, seorang ilmuwan, sufi, pengarang dan komandan pertempuran abad ke 17, sesudah 16 tahun menjalani pembuangan. Kampung halamannya terletak di seberang dua samudera, berjarak 12.000 km jauhnya. Saya tertunduk dan mengagumkan Al-Fatihah untuk pejuang besar ini. Beliaulah Syaikh Yusuf al-Makassari al-Bantani. Pengetahuan saya tentang Syekh Yusuf tak begitu jauh di atas angka nol. Waktu itu saya tak paham bahwa demikian banyak pejuang kita yang dibuang ke benua sejauh ini, yang membentuk mukimin awal dan belakangan merupakan sumber inspirasi bagi pejuang anti apartheid di abad ke-

⁶⁹ أخرجه أحمد في المسند، ج14، ر8952؛ وأخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب حسن الخلق، ص104، ر273.

⁷⁰ توفيق إسماعيل شاعر، ولد في بوكيت تنغي 25 (Bukit Tinggi) يونيو 1935 ويعتبر من كبار الشعراء في أندونيسيا. انظر:

[<http://www.biografiku.com/2009/11/biografi-taufik-ismail.html>].

20. Setiap kali anggota, masyarakat Cape Town yang sangat mencintai Syekh Yusuf sebagai peletak Islam pertama dan pejuang anti kolonial bertanya kepada saya, apakah di Indonesia juga Syekh Yusuf termashur dan sangat dicintai rakyat, maka saya teragap menjawab sekenanya saja dan sesudah itu termangu-mangu. Saya malu karena tidak mengenal tokoh ini. Tokoh yang disebut Nelson mandela sebagai "putra Afrika, pejuang teladan kami". Saya malu karena saya ternyata cuma tahu sangat samar-samar tentang putra Makassar yang berjuang di Banten ini. Kualitas macam apa bacaan sejarah saya di sekolah dulu, lalu kemudian selepas sekolah?"

"أخطو وأدخل معقود اللسان عندما ألفت نظري إلى الصريح المسيح بحديد منقوش، مغطى بقماش أخضر. قد دفن هنا عالم، صوفي، مؤلف، مناضل، وقائد الحروب في القرن السابع عشر، بعد 16 سنة من نفيه. حيث يقع بلده بين المحيطين، مسافته حوالي 12000 كم. متحنى الرأس، أهدي قراءة الفاتحة لروح هذا المناضل العظيم والعالم الجليل، هو الشيخ يوسف المكاسري البنتاني. إن معرفتي عن الشيخ يوسف لا تتجاوز فوق الصفر. حينها ما كنت أدري أن عددا كبيرا من علمائنا ومناضلين قد تمّ فهمهم إلى هذه القارة لمثل هذا البعد، الذين كونوا مجموعة مسلمة وحيلا جديدا إذ أصبحت هذه المجموعة مصدر إلهام لمناضلين ومحاربين ضد العنصرية في القرن العشرين. وكلما يسألني شعب كيب تاون (Cape Town) عن ذبوع وشهرة شخصية الشيخ يوسف كمناضل ومجاهد ضد الاستعمار، وهل الشعب الأندونيسي يحب الشيخ يوسف كما أحبه الشعب كيب تاون، وهل شهرته كشهرة في كيب تاون؟ أتردد في الإجابة ولا أستطيع أن أجيب عليهم. أخجل لأنني لا أعرف كثيرا عن هذا العالم الجليل، إذ قال عنه نيلسون منديلا (ت1434هـ/2013م)⁷¹: "ابن أفريقيا، هو مناضل وقودتنا"⁷². أخجل لأن معرفتي

⁷¹ نيلسون روليهلاهلا مانديلا [Nelson Rolihlahla Mandela] ولد في 18 يوليو 1918م بقرية مفيزو (Mvezo) بمقاطعة أومتاتا [Umtata] بإقليم ترانسكاي [Transkeian] في جنوب أفريقيا، زعيم سياسي كبير، ومناضل عنيد ضد العنصرية، سجن 27 سنة، حتى حرر شعبه من الميز العنصري للبيض، شغل منصب رئيس جنوب إفريقيا 1994-1999م. وكان أول رئيس أسود لجنوب أفريقيا، توفي 5 ديسمبر 2013م عن عمر ناهز 95 عاما. انظر: [المتجدد في الإعلام، ص516]؛ و[البلعكي، منير: معجم أعلام المورد، دار العلم للملايين - بيروت، ط1412، 1412/هـ، 1992م، ص413

⁷² انظر: [حافظ عباس، جاكارتا بوست: مانديلا ومصدر معلوماته للإلهام، الشيخ يوسف، سان، ديسمبر 15، 2013م].

عن ابن مكاسر الذي حارب وناضل في بنتان قليلة جدا . قراءتي للتاريخ في المدرسة كم هي ضعيفة، بل حتى ما بعد الدراسة"⁷³.

كان الشيخ يوسف المكاسري من الدعاة الذين دعوا باسم هذا الدين العظيم دين الإسلام وناضلوا من أجله ومن أجل أوطانهم وشعوبهم فهو قد وقف في وجه الظلم والاستعباد والقهر غير أن نضاله ضد الاستعمار لم يشغله عن الدعوة في سبيل الله معتمدا في ذلك على منهج قام على المراوحة بين الحكمة والمحبة والترغيب .

I. الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة

تقوم جميع أساليب الدعوة إلى الله على أسلوب الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، كما قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾⁷⁴. وكذلك [الدعوة بالموعظة الحسنة] تظهر جلية في رسائل الشيخ يوسف المكاسري وخاصة في رسالته [زبدة الأسرار]، فهو لا يستعمل أسلوب التهيب وإنما أسلوب الترغيب والتيسير والتبشير، فلا يشدد على الناس بل هو حلیم لين في دعوة الناس كما وجدنا ذلك في رسالته حيث قال: "ومن ذلك أن العبد يجب أن يحسن الظن بالناس وأنهم وإن وقعوا في المخالفات دائما فضلا عن غيرهم فإن رحمة الله أوسع من ذلك"⁷⁵.

وحتى أهل الكبائر قد خصهم بالذكر في رسالته وبين أنهم لايجبوا أن يقنطوا من روح الله وأن الله عز وجل لم يتركهم واستدل بذلك بحديث الشفاعة حيث يقول ح: [شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي]⁷⁶. وقال الدكتور مُستاري مُصطفى في كتابه: "إن من أسباب نجاح دعوة الشيخ يوسف المكاسري هو منهجه في الدعوة الذي يتسم

⁷³ انظر تقديم كتاب "Syekh Yusuf seorang Ulama, Sufi, dan Pejuang" : شيخ يوسف، عالم، صوفي، ومناضل لأبي

حامد .

⁷⁴ سورة الححل : 125 .

⁷⁵ انظر: [لويس، (نبيلة): الكشف عن زبدة الأسرار، ص 82.]

⁷⁶ أخرجه الترمذي بتحقيق إبراهيم عطوة عوض، مكتبة مصطفى الباوي الحلبي وأولاده بمصر - القاهرة، ط1، 1382هـ/1962م، كتاب صفة القيامة، باب منه (ما جاء في الشفاعة) ج4، ص625، 2435، وقال حسن صحيح؛ وأبو داود في سننه، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية - دمشق، ط1، 1430هـ/2009، أول كتاب السنة، باب في الشفاعة، ج4، ص119، 4739؛ وسنن ابن ماجه، تحقيق فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى الباوي الحلبي - القاهرة، د.ط، د.ت، باب ذكر الشفاعة، ج2، ص1441، 4310.

بالمبادئ الأخلاقية وهي الدعوة بالموعظة الحسنة بخلاف المنهج الذي يحمله بعض دعاة العصر من أصحاب الأفكار المنطرفة".⁷⁷

وانطلق المكاسري في نشر تعاليم الإسلام، من مبدأ يتمثل في كون الدعوة المحمدية هي رسالة رحمة للعالمين، لذلك فإنه يدخر جهدا في أن تصل أحكام الدين إلى أبعد مدى من المعمورة، وأن منهجه في الدعوة يتسم بالحكمة، والدفع بالتي هي أحسن، وهذا يتوافق مع الآية الكريمة حيث قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.⁷⁸

وهذه الآية العظيمة وشبهها، وإن توجه فيها الخطاب إلى رسول الله لفظاً، فهو لجميع الأمة، لا بصيغته وإنما باعتبار معنى الرسالة، لأنها تابعة له، والقاعدة الشرعية أن الخطاب إلى رسول الله ح هو لأمته، إلا إذا دل دليل على التخصيص، لأنه مأمور بالتبليغ لاتباعه، وقد قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾⁷⁹، وقد تواترت الأقوال عن أصحاب النبي ح في متابعتهم له في كل شيء إلا ما يبين لهم اختصاصه به.

وهذا دليل على أن منهج الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن هو منهج النبوة الأصل الذي أمر به النبي ح في تبليغ الرسالة الإلهية إلى الناس جمعاء. فمن واجب الدعاة اتباع سنة سيد المرسلين وهو قدوتنا في جميع مجالات حياتنا وخاصة في منهج دعوته، بهذا حيث نهج به رسول الله ح في دعوة الناس ثم تبعه أصحابه ثم تابعوا التابعين والعلماء العاملين، فأصبح الإسلام منتشرا في جميع أنحاء العالم، وبهذا المنهج قدم للعالم صورة الإسلام كدين تسامح واعتدال وأن نبينا ح رحمة للعالمين، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.⁸⁰

⁷⁷ انظر: [مصطفى (مستاري): الدين والفضائل الأخلاقية للشيخ يوسف المكاسري، ص98].

⁷⁸ سورة النحل: 125.

⁷⁹ الأحزاب: 21.

⁸⁰ الأنبياء: 107.

وجاء في الحديث المرفوع أن رجلا جاء إلى مكة في بداية البعثة وقد وصل إليه طرف من خبر النبي الكريم، وأخذ يبحث عنه فلما وجده باشره بالسؤال قائلا: [ما أنت؟ قال: "نبي" قلت: "وما النبي؟" قال: "رسول الله ح"، قلت: "من أرسلك؟" قال: "الله" قلت: "بماذا أرسلك؟" قال: "أن توصل الأرحام، وتحنن الدماء، وتؤمن السبل، وتكسر الأوثان، ويعبد الله وحده لا يشرك به شيئا" قال: قلت: "نعم ما أرسلك به، أشهدك أني قد آمنت بك وصدقت"]⁸¹.

وهذه الأمثلة دروس عظيمة في حرص الرجل على التثبت والتأكد من الخبر بمباشرة التحقق من صاحبه قبل الحكم عليه وعدم الانصياع إلى الشائعات التي كانت تطلق لتشويه الرسالة، ودروس في مباشرة السؤال ووضوحه والنظر في محتوى الرسالة قبل الحكم عليها، ودروس في سرعة الاستجابة للحق عند ظهوره وعدم التمسك بالمرور والسائد على نحو يحجب القلب والعقل عن تمييز الحق من الباطل.

وهذا من قوة تأثير الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة التي مثل لنا رسول الله ح في دعوة الناس رغم أن أصل الرسالة عقيدة التوحيد لقوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ۗ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ۖ﴾⁸².

ومع ذلك قدم النبي الكريم في تعريفه للرجل بما أرسله الله به ثلاثة أمور قبل أن يذكر له التوحيد ويطالبه

به، هي:

1. صلة الأرحام، الروابط الأسرية (الأمان المجتمعي).
2. حقن الدماء، قيمة النفس (تأمين الحياة).
3. تأمين السبل، أي الطرقات (الأمن العام).

⁸¹ أخرجه البيهقي في كتاب السنن الصغير، تحقيق عبد المعطي أمين قلنجي، جامعة الدراسات الإسلامية كراتشي - باكستان، ط1، 1410هـ/1989م باب

الساعات التي تكره فيها صلاة التطوع، ج1، ص324، ر925.

⁸² الكهف: 110.

ثم ذكر تحطيم الأوثان وعبادة الله وحده. فعلى الداعي أن يراعي الحكمة في استخدام أسلوب الموعظة، بأن تكون هذه الموعظة موافقة لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فتكون موعظة حسنة في موضوعها وأسلوبها وطريقة عرضها، وتكون موعظة بليغة مؤثرة في القلوب.

II. المحبة

إنَّ ما جعل من الشيخ يوسف المكاسري شخصيته مؤثرة كان لها بصمتها أينما حلَّت هي محبته للناس ولوطنه ولدينه، فقد كان مُحباً للناس ناصحاً لهم صادقاً معه، هذا ما جعله محبوباً ومقدماً عندهم، وهذا ليس بغريب من عالم متشعِّق بأخلاق المتصوف، ومن طبيعة الداعي أن يكون مُحباً للناس محبوباً عندهم ليكون لدعوته صدى في قلوبهم ولم تكن محبته لهم لاجاه أو مال أو نسب بل كانت محبة خالصة لوجه الله طالبا بها رضاه والقرب منه.

وإنَّ هذه المحبة كانت مبنية على أخلاق التزم بها هذا الشيخ الجليل تجاه خالقه ومخلوقاته، محبته ترجمتها أخلاقه واقتداؤه بالرسول. كما أنَّ الدعوة في نشر تعاليم الإسلام قد بلغت عند المكاسري أوجهاً، امتزجت عنده بالصدق في القول، والاستقامة في السلوك، والصفاء في الأحوال، فكان نموذجاً للاهتمام بالأخلاقي، وما انتشر الإسلام في [سلاويسي الجنوبية] و[جنوب إفريقيا] وغيرهما من المناطق، إلاّ دليلاً على نجاعة المنهج المكاسري في الأخذ بمجامع القلوب، والنفاذ إلى مكامن الشعور بطريق الحكمة والموعظة الحسنة وصدق الطوية.

وأشار الدكتور مستاري مصطفى في كتابه: "إنَّ من أسباب نجاح دعوة الشيخ يوسف المكاسري نظريته في محبة المخلوق كلهم، تكون دعوته من قلب إلى قلب، ويدعو الناس بلين وكانت دعوته بعيدة عن العنف والإرهاب وتحريض الناس لبُغض الآخرين أو فئة معينة بحجة اختلاف مذهبي أو ديني".⁸³ وإنَّ ما يدفع المكاسري إلى الاعتماد بهذا المنهج هو نظراته الإيجابية لثلاثة أشياء وهي:

أولاً: الكون، وهي نظرة إعمار واكتشاف، فهذا الكون - الذي خُلِقنا فيه - يسير وفق نواميس أودعها الله فيه لا بد من اكتشافها، ومن ثمَّ العمل بمقتضاها للإعمار، فهذه النظرة تخلق في الإنسان حب التأمّل وتوحيد الله المبدع

⁸³ انظر: [مصطفى (مستاري): الدين والفضائل الأخلاقية للشيخ يوسف المكاسري، ص 98.]

في صنيعه فيزداد إيماننا على إيمانه، وعلمنا بحقيقة خالقه، أليس الله هو القائل: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالذَّوَابِّ
 وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ 84.
 ثانيا: الحياة، وهي فترة للعمل فيما ينفع الناس، ولا تقاس بحياة الأفراد، وهذا ما أراد الرسول ح أن يرسخه في نفوس
 المؤمنين. يحكى عن الفلاح المسن الذي غرس أشجارا - ثمر بعد سنوات - لما استفسر عن سبب غرسه إياها
 فقال: "غرسوا فأكلنا، ونحن الآن نغرس ليأكل من يأتي بعدنا".

ثالثا: الإنسان، هو المخلوق الذي كرمه الله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
 وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ 85.
 وهو الأساس في قيام الحضارة كما يقول مالك بن نبي لذلك لا بدّ من المحافظة عليه جسدا وروحا كما أمرنا
 تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ
 اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ 86.

III. الترغيب

إن الدعوة الواقعية تأخذ بعين الاعتبار ظروف المدعوين الاجتماعية والثقافية وطبيعة مشاكلهم، لذا على
 الداعي أن يكون واقعيا في تعامله معهم. وكان الشيخ يوسف من الذين أخذوا بعين الاعتبار أحوال المدعوين وراعوا
 ظروفهم، وله أسلوب خاص في إيصال المعلومة وتبليغ الدعوة لهم، وهو أسلوب الترغيب. ولسائل أن يسألنا لم اتخذ
 الشيخ يوسف منهج الترغيب دون الترهيب؟ يمكننا الإجابة بالقول أن هذا المنهج هو المنهج النبوي الشريف والذي
 دعا الله عز وجل إلى انتهاجه في الدعوة.

84 فاطر: 28.

85 الإسراء: 70.

86 القصص: 77.

مع الإشارة أن الشيخ عاش في بيئة سمحة الطباع لينتها ولا مكان للشدة فيها والتسلط، ومن الأسباب الأخرى التي دعت لهذا المنهج هو أن سلاويسي كان فيها حراك جديد للإقبال على الإسلام كما ذكر لنا التاريخ أن وصول الإسلام إلى سلاويسي الجنوبية متأخرا وذلك في بداية القرن السابع عشر الميلادي.⁸⁷

وليس من الحكمة تغيير الوافدين الجدد والمقبلين على الدين الحنيف، وكذلك حين قدم إلى جنوب إفريقيا حيث يُعتبر الشيخ يوسف من رواد تكوين المجموعة المسلمة في تلك المنطقة، لهذا كان أسلوبه أسلوبا شرعيا يُمَيِّز. وهذا المنهج هو منهج قرآني، حيث قال تعالى: ﴿قَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾.⁸⁸

ولقد تجلّى أسلوبه من خلال رسائله الصوفية وخاصة في رسالته [زبدة الأسرار] حيث قال: "لاشكّ أنّ الناس كلهم ما كانوا يريدون أن يظهر جميع ما فعلوا وعملوا من القبائح والمعائب إما خوفاً أو حياءً من الناس مثلهم أو كليهما جميعاً هذا إذا كان ذلك من القبائح والمعائب فقط، فكيف إذا كان ذلك من الذنوب والمعاصي فيكون ذلك من باب أولى... فكيف لا يكون الحقّ تعالى متّصفاً بصفة الغفران والرحمة الواسعة وما أشبه ذلك وهو أشفق وأرحم لعباده من الوالدين لولدهما، فافهم ثم هوح أيضا لا يُقال في حقّه أنه شفيع المتّقين وإنما يُقال في حقّه شفيع المذنبين".⁸⁹

رغم اعتماده على أسلوب الترغيب لا يعني ذلك أن الشيخ يتجاهل أسلوب الترهيب، ورغم لينه وتعاطفه في الدعوة لا يعني أنه يسكت عن الظلم والفسق والفساد بل كان الشيخ قام في أول صفّ ضدّ الظلم، كما تقدّم ذكره أنه قاد الحروب ضدّ الاحتلال الهولندي ويات يحارب ما يقارب عشرة سنين وهو يقود الحرب متّقلا من غابة إلى غابة.

وكان له موقف خاص من أهل الأهواء من الزنادقة والملاحدة حيث قال بعد ذكر قول أحد المتصوّفة:

"ما وصلت إلى الله تعالى بكثرة صلاة ولا صيام وإنما وصلت إلى الله بالصبر والتواضع وسخاوة النفس... قال ما

⁸⁷ انظر: [حامد (أبو)، الشيخ يوسف عالم صوفي ومناضل، ص 10].

⁸⁸ آل عمران: 159.

⁸⁹ انظر: [لويس، (نبيلة)، الكشف عن زبدة الأسرار، ص 84].

وصلت إلى الله تعالى بكثرة صلاة ولا صيام وما قال بلا صلاة ولا صيام فالعارف العاقل لا يخفى عليه ذلك ولا تظنّ أنه لا يصليّ بموجب تقييده بقيد الكثرة.. .إنما المراد بالكثرة هو كثرة النوافل الزائدة على الفرائض، وأما لو قال ما وصلت إلى الله تعالى بصلاة ولا صيام لفهم ذلك أنه لا يصليّ كما فعل بعض الزنادقة والملاحدة على ذلك لعنة الله، والله يتولّى الجميع".⁹⁰

الخاتمة

لقد حاولتُ في هذا البحث المتواضع التعرف على شخصيّة الشيخ يوسف المكاسري المكنّى بـ [تاج الخلوّية] وعلى جهوده المباركة في الدعوة إلى الله وإصلاح الجانب الأخلاقي والدّعوي على أساس رؤية إسلامية كلية أو رؤية كونية. وقد كان يركّز على الجانب الروحي والاجتماعي والدّعوي من خلال تأثره بالقرآن الكريم والسنة النبوية. ومن أهم التوصيات التي نادى بها دعوة القائمين على العملية العلمية إلى أخذ ضرورة الاهتمام بالجانب الإيماني والروحي في التربية بعين الاعتبار من خلال التمسك بالدين، لأنّه من وسائل تحقيق الأمن الداخلي والأمن المادي للأفراد، وضرورة الاهتمام بمنهج الدعوة إذ أنّ قبول الدعوة عند المجتمع يتعلّق بحامل الدعوة (أي الدعاة) وطريقته في تبليغ الدعوة للناس.

فقد توصلت من خلال هذا البحث إلى نتائج مهمة يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

1. نشأ الشيخ يوسف في أسرة كريمة محبة للعلم والصلاح حيث ولد داخل قصر السلطان وتربى فيه، ولم يقتصر في طلب العلم على علماء بلده، بل رحل إلى عدة المناطق والبلدان ليأخذ العلم من أصحابه.
2. إن دعوة المكاسري شاملة لجميع جوانب الحياة، الأخلاقية والاجتماعية والسياسية والعلمية، حيث كان الشيخ مُستشاراً للسلطان ومُفتياً للمملكة، وكانت دعوته متممة بسمتٍ سمحٍ ولين، وإن دعوة الناس إلى الرجوع إلى الله بعدم قطع آمالهم بصرف النظر عن الذنوب التي ارتكبها العبد، قد نالت الحظ الأوفر في نشاطه الدعوي.

⁹⁰ المرجع السابق، ص 108.

3. استخدم المكاسري في دعوته لإصلاح المجتمع أساليب كثيرة ومتنوعة، منها: أسلوب الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة وترغيب الناس في الرجوع إلى الطريق السوي وإظهار محبته للناس أجمعين دون النظر إلى دينهم وعرقهم ولونهم.

4. يُعتبر المكاسري من كبار العلماء في أرخبيل ملايو (أندونيسيا وما جاورها) ويُعتبر أيضا من أكبر المجددين في تاريخ هذا الأرخبيل. ولقد تجلّى منهجه الصوّفي في مسيرة حياته فظهر بمظهر التصوف الاجتماعي القائم على الممارسات اليومية فكأننا به في تصوّفه لا يفصل بين المسائل الدنيوية والأخروية. فساهم بذلك في بناء المجتمع المدني الإسلامي.

5. لكل عصر تحدّ، وتحديّ هذا العصر هو المحافظة على الأخلاق. وهذا التحديّ هو رهان اليوم. فنحن بحاجة اليوم إلى غرس القيم الأخلاقية في نفوسنا، وقد وجدنا ذلك في تصوّف الشيخ يوسف إذ قسم الأخلاق إلى نوعين: الأخلاق مع الله، والأخلاق مع البشر. فالأخلاق مع الله تعني استحضار مراقبة الله معك أينما تكون، والأخلاق مع البشر تعني حسن المعاملة معهم وحسن الظنّ بهم وعدم إيذاء وظلم الآخرين بل يجب إدخال سرور في قلوبهم.

وإذا غرسنا هذه القيم الأخلاقية في نفوس كلّ مسلم وطبّقناها في حياتنا اليومية وخاصة في حياتنا الاجتماعية فسوف يتحقّق السلام والازدهار على هذا الكوكب، ونحن كسفراء للإسلام وحاملين راية السلام سوف نقدم صورة مثالية للإسلام بكونه رحمة للعالمين.

المراجع

البخاري. كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ص34، ر52؛ وصحيح مسلم، كتاب المساقاة والمزارعة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، دار الإحياء التراث العربي - بيروت، د. ط، د. ت، ج3، ص1219، ر1599.

مكاسر [Makassar] عاصمة مقاطعة سولاويسي الجنوبية، وكبرى مدن جزيرة سولاويسي. وعرفت باسم أوجونغ باندانغ 1971م و1999م نسبة إلى حصن كان موجودا قبل الاستعمار. وتقع مكاسر على الساحل الجنوبي الغربي للجزيرة، ويبلغ عدد سكانها 1.612,413 نسمة حسب تعداد سنة 2013م، وتبلغ مساحتها 175.77 كم². انظر:

[<https://www.britannica.com/place/Makassar>];

[<http://makassarkota.go.id/110-geografiskotamakassar.html>].

الزركلي، خير الدين. الأعلام، دار العلم للملايين - بيروت، ط5، 1400هـ/1980م، ج2، ص37.

المرادي، أبو الفضل محمد خليل بن علي. سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، دار البشائر الإسلامية ودار ابن حزم - بيروت، ط3، 1408هـ/1988م، ج1، ص5.

حامد (أبو). (الشيخ يوسف عالم صوفي ومناضل، مؤسسة أوبور أندونيسيا، جاكرتا، ط1، 1994م، ص93.

Hamid (Abu). Syekh Yusuf Seorang Ulama Sufi dan Pejuang, Yayasan Obor Indonesia, Jakarta, Ed. 1, Cet. 1, 1994, P. 93.

Gowa مدينة جوا هي مدينة مجاورة لمكاسر تقع في سولاويسي الجنوبية بأندونيسيا، يبلغ عدد سكانها 652.941 نسمة، وتبلغ مساحتها 1.883,32 كم². يراجع:

[<http://gowakab.go.id/profile>].

كيب تاون هي ثالث أكبر مدن جنوب أفريقيا من حيث عدد السكان. كيب تاون هي عاصمة مقاطعة كيب الغربية، والعاصمة التشريعية لجنوب أفريقيا. حسب إحصاء عام 2001م يسكن كيب تاون 2.9 مليون نسمة. مساحتها 2499 كم². تشتهر كيب تاون بالمرفئ الموجود بها، وبالطبيعة الخلابة. انظر: [\[http://www.southafrica.info/about/geography/western-cape.htm#.V5aS61ThDDc\]](http://www.southafrica.info/about/geography/western-cape.htm#.V5aS61ThDDc).

حامد (أبو). (الشيخ يوسف عالم صوفي ومناضل، ص86.

عبد الملك كريم أمر الله. وُلِدَ في مدينة تانجونغ رابا بسومطرة الغربية في 17 فبراير 1908م، عالم وشاعر، وكان رئيساً لمجلس العلماء الأندونيسي (1975 - 1981م)، تُوفِّيَ 24 يوليو 1981م/1401هـ عن عمر ناهز 73 عاماً.

حامكا. تاريخ الأمة الإسلامية، مؤسسة بولان بنتانغ، جاكرتا، ط2، 1976م، ص294.

لويس (نبيلة). (من أعلام أندونيسيا: الشيخ يوسف المكاسري (1626-1699)، ستوديا إسلاميكا، - PPIM جامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية - جاكرتا، 1994، مج1، ط3، ص154.

بنتان [Banten] هي إحدى مقاطعات أندونيسيا تقع بجاوى الغربية وعاصمتها سيرانج، ويقدر عدد سكانها بـ 12.548.98 نسمة ومساحتها 9160 كم². انظر: [\[http://www.bphn.go.id/data/documents/provinsibanten-4-2012.pdf\]](http://www.bphn.go.id/data/documents/provinsibanten-4-2012.pdf).

آتشيه. دار السلام أو آچيه هي إحدى الأقاليم الخاصة في أندونيسيا. وتلقب بـ [شرفات مكة]. انظر: [\[http://acehprov.go.id/profil/read/2014/01/30/11/geografi-s-aceh.html\]](http://acehprov.go.id/profil/read/2014/01/30/11/geografi-s-aceh.html).

ناسوتيون (هارون). (الموسوعة الإسلامية الأندونيسية، الناشر جامبتان، ص890.

عبد العال، بديعة محمد .التقشبندية نشأتها وتطورها لدى الترك، لدار الثقافة للنشر - القاهرة، ط1،
1431هـ/2010م، ص11.

المرادي، أبو الفضل محمد خليل بن علي .سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ج1، ص5.
صغير، حاج وان محمد صغير بن عبد الله .تطور علم التصوف ورجاله في آسيا شرق الجنوب، الناشر الإخلاص،
سورابايا، أندونيسيا، د.ت. ص41.

Shaghir, Hj. Wan Mohd Shaghir Wan Abdullah. Perkembangan Ilmu Tasawuf dan Tokoh-tokohnya di Nusantara. Surabaya, Indonesia: Penerbit al-Ikhlâs. P. 41.

النجار، عامر .الطرق الصوفية في مصر، نشأتها ونظمها وروادها، دار المعارف - القاهرة، ط5، د.ت،
ص163.

الريحاني، أمين .ملوك العرب، دار الجيل - بيروت، ط8، 1407هـ/1987م، ج1، ص293.
الزركلي، خير الدين .الأعلام، ج5، ص62.

الأفغاني، عناية الله إبلاغ .جلال الدين الرومي بين الصوفية وعلماء الكلام، الدار المصرية اللبنانية -
1407هـ/1987م، ص23.

حامكا .من الخزانة القديمة، مؤسسة بوسستاكا بانجيماس، جاكرتا، 1996م، ص42-43.

Hamka. Dari Perbendaharaan Lama, Yayasan Pustaka Panjimas, Jakarta, 1996, P. 42-43.

لويس، نبيلة .ستوديا إسلاميكا، ص157-158.

Sasmita (Oka Candra). Sultan Agung Tirtayasa, (Proyek Inventarisasi Dokumentasi Sejarah Nasional: 1981), P. 2.

Lubis (Nabilah). Menyingkap Intisari Segala Rahasia, Mizan, Bandung, Cet. 1, 1996, P.26.

Tudjimah. Syekh Yusuf Makassar, Riwayat dan ajarannya, UI Press, Jakarta, 1994, P. 9-10.

Mustafa (Mustari). Agama dan Bayang-bayang Etis Syaikh Yusuf Al-Makassari, PT. Lkis Printing Cemerlang, Yogyakarta, Cet.1, 2011, P.98.

Haroon, Mohamed. Muslim in South Africa, Cape Town, The South African National Library, 1997.

ابن الملّقن .طبقات الأولياء ، تحقيق نور الدين شريبه ، مكتبة الخانجي - القاهرة ، ط4 ، 1415هـ/1994م ، ص280.

أبو عبد الرحمن ، محمد بن حسين السلمي .طبقات الصوفية ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط2 ، 1424هـ/2003م ، ص80.

أبو نعيم ، أحمد بن عبد الله الأصفهاني .حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، مكتبة الخانجي - القاهرة ، د.ط ، 1416هـ/1996م .

القشيري ، أبو القاسم .الرسالة القشيرية ، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف ، دار الشعب - القاهرة ، د.ط ، 1409هـ/1989م ، ص466.

اليوسف ، يوسف سامي .مقدمة للنفري ، دار الينابيع - دمشق ، د.ط ، 1418هـ/1997م ، ص15.